دروس الحديث الشريف الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة الأحاديث القدسية

((الأمانة))

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عزوجل: **((أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان خرجت من بينهما))**. [البيهقي].

يُفطَر المسلم على كل خلق حسن أو سيء، إلا خُلقين الكذب والخيانة، فما إن رأيت إنساناً خوّاناً أو كذّاباً. نسأل الله السلامة فاعلم: بأنه مدخول في إيمانه.

وتعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقّب قبل الإسلام **بالصادق الأمين**، ولما دعا إلى الدين وإلى الإسلام، وإلى القرآن، قالوا له: ما جرّبنا عليك كذباً قط، والله إنك لصادق، والله إنك لأمين .

وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة جعل سيدنا علياً كرّم الله وجهه ينام مكانه وقال له: ابق بعدي ثلاثة أيام في مكة، هل تذكرون لماذا؟؟ طلب منه أن يردّ ودائع قريش إلى قريش؛ وقريش كانت على عداء شديد مع النبي صلى الله عليه وسلم، لكنها تضع أماناتها عنده.

هو عدوهم وهو خصمهم اللدود، لكن لم يجدوا أحداً أكثر أمانة منه، ليتركوا عنده الذهب والأموال، مع أنه العدو اللدود لهم!.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم (والحديث مطلعه خطير جداً): **((لا يؤمن عبد حتى يكون لسانه وقلبه سواء، وحتى يأمن جاره بوائقه ولا يخالف قوله فعله))**[ابن النجار عن انس والديلمي].

إذا كان الناس لا يأمنون غدرك فإن إيمانك لم يكمل بعد، مهما صليت ومهما صمت، ومهما قمت في رمضان، ومهما فعلت وفعلت، إذا كان الذين يتعاملون معك، يخافون منك الغدر، يقولون: والله هذا لا يؤمن غدره، معنى هذا: أنه لا زال بعيداً جداً عن الإيمان!. **فالأمانة صعبة.**

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب:72]. ليست المشكلة في حمل الأمانة، لكن المشكلة في أن تؤدّي هذه الأمانة!.

تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من مكة المكرمة طريداً هارباً، وقريش ضيّقت عليه وعلى أهله، وأنهم قتلوا بعضاً من أصحابه، وبقروا بطون الحوامل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وتكلّموا في عِرض النبي صلى الله عليه وسلم.

حتى هرب المسلمون من مكة، هربوا وتركوا أموالاً لهم في مكة، لكنهم فرّوا بدينهم، والنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة جلس تسع سنوات، ثم أذن الله تعالى له بفتح مكة ، وكان قد أعدّ للدولة الإسلامية عدته، وعاد إلى ليدخل مكة ، وأراد أن يدخل مكة بغير قتال.

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً، وقريش اختبأت في بيوتها، واختبأت على أطراف الجبال، **والنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)) قال أبو سفيان: وما تسع داري؟ فقال: ((ومن دخل الكعبة فهو آمن)) قال: وما تسع الكعبة ؟ فقال: ((ومن دخل المسجد فهو آمن)) قال: وما يسع المسجد ؟ فقال: ((ومن أغلق عليه بابه فهو آمن)).[السيرة النبوية لابن كثير].**

وصل المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، والكعبة هي قبلة المسلمين وهي أطهر بيت على ظهر الأرض، وكان حينها في الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً داخل الكعبة، وعلى ظهرها، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطهّر الكعبة، والكعبة

كان لها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم باب، وهذا الباب له مفتاح، وهذا المفتاح عند بني شيبة.

وكانت أُسر قريش تفتخر فيما بينهم، فبعضهم يفتخر بأن عندهم مفتاح الكعبة، وقوم يفتخرون بأنهم يخدمون الحجاج بالرفادة والطعام، وقوم بسقاية الحجاج من زمزم، وهكذا كانوا يعتزّون بخدمة الكعبة.

بنو شيبة كان عندهم مفتاح الكعبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا علي اذهب لعند عثمان (من بني شيبة)وقل له: أن يعطينا المفتاح.

قال له: أغصباً؟ فقال له: نعم غصباً، فقال له: لا أعطيك إياه غصباً، وسيدنا علي كان قويا جداً، وكان سيدنا علي إذا قبض على إنسان قبضة ضاق نفسه، فقال له: ما من مفتاح، فأمسكه سيدنا علي، وأخذ منه المفتاح غصباً، ومضى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلحق به عثمان، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أغصبا يا محمد؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بل عارية مردودة. سأعيده لك لكن نريد أن نطهّر الكعبة من هذه الأصنام، فأخرج الصحابة الأصنام، ونُظِفت الكعبة، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بين الساريتين، وخرج منها، وعندما خرج، قال له عثمان: يا محمد أعطني المفتاح،والصحابة كلهم جالسون، ماذا يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ هل من المعقول أن يعطي مفتاح الكعبة لرجل مشرك؟!.

وأطهر بيت هو الكعبة، وعثمان يقول: يا محمد أعطني المفتاح، والصحابة كلهم ينظرون ماذا يفعل؟؟ وجعل جبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتصبّب عرقاً، فعلمنا أنه يوحى إليه.فلما سري عنه، قال: يا علي أعط عثمان المفتاح.

فقال يا رسول الله!!فقال له :أعطه المفتاح، لقد أنزل الله تعالى عليَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58].

ذُهِلَ عثمان من ذاك الموقف، فقال: يا محمد، ربك أمرك بهذا؟

فقال له :نعم.

فقال عثمان: **أشهد أنه لا إله إلا الله وأنك رسول الله.**

هذا ليس أمراً أرضياً، هذا شيء من السماء .

وإلى الآن المفتاح مع بني شيبة، وهم يتوارثونه، وحتى الملك الآن، إذا أراد أن يدخل الكعبة، طلب من بني شيبة أن يأتي كبيرهم إلى الكعبة ويفتح الباب، ثم يدخل إليها.

فإذا كان ينبغي أن تكون أمينا مع عدوك، فكيف مع أخيك؟ إذا كان أخوان شريكان في شركة، هل من المعقول أن يغدر أحدهم بالآخر؟! ويقول لك: حلال على الشاطر!.

هل يوجد آية في القرآن الكريم أو حديث يقول:حلال على الشاطر (والعياذ بالله)!.التجارة شطارة، يعني السرقة شطارة (والعياذ بالله) ما هذه الثقافة المنتشرة في الأسواق؟! يقول لك: هكذا كل الدنيا، أتظن الأمر كله مثل الجامع، الصلاة فقط في المسجد، والسوق!!!

يقول لك: في السوق إن لم تكن ذئبا أكلت الذئاب!.

السوق بحاجة إلى ذئب ليسيطر على السوق!، ما استطعت أن تظلم الناس فافعل! ويقولون: **ومن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ!.(والعياذ بالله)**.

اظلم الناس قبل أن يظلموك، والذي يبدأ أولاً هو الذي ينجح بالسيطرة على الآخرين!!.

ما هذه الثقافة ؟! هذه ثقافة وحوش، ثقافة غابات، هذه ليست ثقافة بني آدم، لكنها إذا شاعت بين أبناء المسلمين، فقدنا إنسانيتنا وفقدنا الرحمة!.

ما منا من رجل، إلا والحرام سيعرض عليه، كبيراً أو صغيراً، صالحاً أو فاجراً، فإن الحرام سيعرض عليك.ولا يوجد عليك رقيب إلا **الله عز وجل**، وهناك يتضح إيمانك!.

وللأسف فإن هناك بعض الرجال لا يقربون المساجد والسبب في ذلك: أن بعض الذين اقتربوا من المساجد نصبوا عليهم، وغدروا بهم وخانوهم.

أن بعض من يدخل بيوت الله فَعلوا بهم أفعالاً لا يفعله الكفار، من غدر وخديعة وخيانة....!.

فلذلك فإننا جميعاً بحاجة إلى تدريب على الأمانة، إذا لم يأمن من حولي شروري وبوائقي وغدري وفجوري، فأنا لم أصبح مؤمنا بعد!.

لابد أن نصل إلى أننا لو سألنا في السوق: من أكثر إنسان مؤتمن في السوق؟ يقال:هذا الذي يدخل إلى المسجد.

أحيانا زوجين متصافيين، عندما يتشاحنا ينسى الزوج هذه الأمانة التي بينه وبين زوجته، فيتكلّم فيها أسوأ الكلام، أو هي تتكلّم في حقه كلاماً لا يليق. أين الأمانة في الحديث؟!.هذا لا يجوز في الشرع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)) [البخاري].

فتعالوا نعيد إلى أنفسنا الإيمان، وإلى أسواقنا الأمانة، حتى تشيع رحمة الله بيننا.

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.